مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (39) العدد (5)2017
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (39) No. (5) 2017

خزائن الكتب الفاطمية في مصر
(358 – 567هـ / 969 – 1171م)

الدكتورة غادة حسن[1]
مازن زهرة [**]

(تاريخ الإيداع 6 / 9 / 2017. قبل للنشر في 17 / 10 / 2017)

□ ملخّص □

تُعد خزائن الكتب من أهم المؤسسات الثقافية التي تفخر بها الحضارة العربية الإسلامية، لدورها الكبير في نشر العلوم والمعارف بين المسلمين، وانتقال آثارها إلى أوروبا الغارقة في الظلمات عندما كانت مدينة بغداد العباسية بنور مكتباتها قبلة للعلماء والمفكرين، ومع قيام الخلافة الفاطمية في مصر 358هـ/ 969م أصبحت القاهرة تنافس بغداد بالمجال الثقافي، وكانت المكتبات أشهر تلك المنافسات. اشتهرت مصر في عهد الفاطميين بمكتبات الخلفاء والوزراء والأمراء والمساجد والبيمارستانات، ومع اندثار الخلافة الفاطمية في مصر استمرت الحضارات التي تعاقبت بعدها في الاستفادة من بقايا كُتب الفاطميين المحفوظة في المدرسة الفاضلية وبيمارستان قلاوون.

الكلمات المفتاحية: الفاطميون _ مصر _ خزائن القصور _ خزائن العامة والمساجد .

[1] مدرسة في قسم التاريخ، اختصاص تاريخ العرب والإسلام، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين، سورية، اللاذقية.
[**] طالب دراسات عليا (ماجستير)، اختصاص تاريخ العرب والإسلام، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين، سورية، اللاذقية.

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (39) العدد (5)2017
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (39) No. (5) 2017

THE FATIMID LIBRARIES IN EGYPT (AH / 969-1171 AD567-358)

Dr. Ghada Hassan [1]
Mazin Zahra [**]

(Received 6 / 9 / 2017. Accepted 17 / 10 / 2017)

□ ABSTRACT □

Libraries are considered the most important achievements of the Arab Islamic civilizatation because of their important role in spreading science among Muslims, and their impact on Europe that sunk into darkness. With the establishment of the Fatimid state in Egypt in 358/969, the Fatimids tried to compete with Baghdad in the cultural field by encouraging private and public libraries. Despite of the collapse of the Fatimid state, the books of its libraries remained preserved in the libraries of civilizations that followed, such as the Fadilia and Bimaraston Qaloun Schools .

Key Words: Fatimid , Egypt , Court library , public library , Mosque library

[*]**Assistant Professor , department of history (Arab and Islam history) , faculty of humanities and literature, Tishreen university , Syria, Lattakia.**
[**]**postgraduate student, department of history (Arab and Islam history) , faculty of humanities and literature, Tishreen university , Syria, Lattakia..**

مقدمة :

لمحة عن الخلافة الفاطمية:

أسس الفاطميون نواة دولتهم الكبرى في المغرب العربي سنة 297هـ/ 909م، ويُعدُّ عبد الله المهدي[1] المؤسس الحقيقي لها، والذي اعتمدَّ على أبو عبد الله الشيعي [2] في تنظيم دولتة في المغربِ. والتي كانت مركزها مدينة المهدية في ولاية إفريقيا سنة 300هـ/ 912م، وفي سنة 358هـ/ 969م تمكن الفاطميون من دخول مصر في عهد الخليفة المعز لدين الله والذي جعل من مدينة القاهرة مركزاً جديداً للخلافة الفاطمية [3]. ومن ثم قرر الفاطميون التوجه نحو المشرق (بلاد الشام)، وهذا ما جعلهم يدخلون في صراعات مباشرة مع الخلافة العباسية، وقد تمكنَّ الفاطميون من إصابةِ نجاح كبير في الشرق على حساب العباسيين حيث حكموا أجزاء واسعة من بلاد الشام فضلاً عن الحجاز. وبما أنَّ الخلافة العباسية كانت المنافس الأكبر للفاطميين فقد تمثل صراع هاتين الخلافتين في جميع النواحي وبما أن البحث يتركز على الناحية الثقافية فقد تجلت من خلال استقطاب العلماء وبناء خزائن الكُتب. بلغت الخلافة الفاطمية أوج ازدهارها زمن الخلفاء العزيز والحاكم بأمر الله 365- 411هـ/ 996-1021م [4]. ومع وفاة المستنصر دخلت الخلافة الفاطمية في صراعات عقائدية بين اتباعها انتهت بانقسام الخلافة الفاطمية إلى مذهبين النزارية نسبه إلى نزار ابن المستنصر في بلاد الشام وفارس والمستعلية نسبه إلى المستعلي ابن المستنصر في مصر سنة 487هـ/1094م. فضلا عن جمود الاقتصاد وسيطرة الوزراء على مقاليد الحُكم منذُ حكم الخليفة الحافظ 526هـ/1130م، وفي سنة 567هـ/1171م تمكن صلاح الدين الأيوبي بعد توليه الوزارة من القضاء على الخلافة الفاطمية نهائياً. والتي لم يبقى منها سِوى معالمها الحضارية والمعمارية وخزائن كُتبها[5].

أهمية البحث وأهدافه :

يهدف البحث إلى توضيح دور الخلافة الفاطمية في إغناء التراث الفكري للحضارة العربية بشكل عام ومصر بشكل خاص كما يهدف إلى إلقاء الضوء على إحدى جوانب الحضارة الفاطمية، وهي خزائن كُتبهم على اختلاف أنواعها باعتبار أنَّ أغلب الدراسات التي عُنيت بالخلافة الفاطمية ركزت على الجانب العسكري والاقتصادية والاجتماعية لها، فضلاً عن كون أغلب الدراسات التي اهتمت بخزائن الكُتب للحضارة العربية الإسلامية لم تظهر دور خزائن الكتب الفاطمية في إغناء الحضارات التي جاءت بعد الفاطميين في مصر.

---

1) يعود نسبه إلى اسماعيل أحد أولاد جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، جعل من مدينة السلمية والتي تقع شمال غرب سورية مركزاً له قبل إعلان قيام الخلافة الفاطمية للمزيد ينظر: الزيات، محمد، *منظومة التأويل الفاطمية*، منشورات المكتبة الفاطمية، القاهرة، 2007م، ط1، ص 74 وما بعد.

2) هو الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا، يعود أصله إلى اليمن للمزيد: ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس ت 681هـ / 1282م)، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، تح: احسان عباس، دار صادر، بيروت، 1994م، ط1، ج2، ص192.

3) ابن الأثير (علي بن محمد ت 630هـ / 1233م)، *الكامل في التاريخ*، تح: محمد السناري، دار الحديث، القاهرة، 2010م، ط2، ج2، ص 404.

4) العريني، السيد الباز، *الشرق الأدنى في العصور الوسطى*، دار النهضة العربية، القاهرة، د. ت، ص 11.

5) ماجد، عبد المنعم، *تاريخ الخلافة الفاطمية*، دار الفكر، بيروت، 2011م، ط1، ص 321- 322.

منهجية البحث:

اعتمد البحث على جمع المادة العلمية من المصادر المطبوعة والمرجع الحديثة ومن ثم تحليلها ومقارنتها بهدف الوصول إلى نتائج علمية متعلقة بموضوع البحث.

النتائج والمناقشة:

اولاً. الحياة الثقافية في مصر زمن الفاطميين: قامت الخلافة الفاطمية في مصر لتنافس الخلافة العباسية في العراق والقضاء عليها. وقد استعان الفاطميون بكل السُبل للقضاء على العباسيين، ومن الأسلحة التي برعوا فيها سلاح العلم والأدب والثقافة، إذ أنَّ مذهبهم الشيعي – الإسماعيلي المخالف لمذهب الخلافة العباسية كان بحاجة إلى دعوة تكسب المؤيدين من كل أنحاء العالم الإسلامي، ولذلك قاموا بتقريب العلماء والأدباء والمفكرين، وأغدقوا عليهم الأموال فأصبحت مصر في عهدهم منارةً للعلوم والفنون ومن القاهرة مركز إشعاع جذب إليها العلماء والشعراء والأطباء والفلكيين والشعراء وغيرهم الكثير من علماء مشارق الأرض ومغاربها وأهل الفنون المختلفة كذلك يعد اهتمام الفاطميين بحركة الترجمة من اللغات الأجنبية دوراً هاماً في ازدهار الحركة الثقافية. ناهيك عن تميز الفلسفة عند الفاطميين بالتوفيق بينها وبين والدين وجعل المساجد ميداناً يتبارى فيه رجال العلم ولقد كان للجامع الأزهر [1] المثال الأكبر لازدهار الحياة الثقافية في مصر الفاطمية، وكان ذلك في عهد المعز لدين الله الفاطمي 953–975م. وفي عهد العزيز بالله 975_996م حيثُ تحوَّل الأزهر إلى معهد للدراسة فعين بعض الفقهاء. للقراءة والتدريس، ورتب لهؤلاء أرزاقاً شهرية ثابتة، وأنشأ لهم دار للسكن بجوار الأزهر. فكانت هذه الخطوة الأولى التي جعلت من الأزهر فيما بعد تلك الجامعة الكبيرة للعلم والعلماء[2].

خزائن الفاطميين في مصر:

أولاً. خزائن الخلفاء الفاطميين:

اهتم الخلفاء الفاطميون بإنشاء المكتبات رغبة منهم في الحصول على أكبر عدد من الكتب لنشر تعاليم مذهبهم، وتشجيع الحياة الثقافية في مصر، ومن أهم خزائنهم:

- **دار الحكمة في القاهرة:** شكلت مكتبة دار الحكمة [3] واحدة من أعظم المكتبات العالمية من حيث توجهها الأكاديمي والعلوم والمعارف التي حوتها، كانت تقع بالقرب من القصر الغربي في القاهرة [4]، وتمَّ الانتهاء من بنائها يوم السبت العاشر من جمادى الأخرة سنة 395هـ الموافق 5 أذار سنة 1005م زمن حكم الخليفة الحاكم بأمر

---

1) بنى قائد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله جوهر الصقلي الجامع الأزهر بعد بناء مدينة القاهرة وذلك سنة 359هـ/970م، وفرغ من بنائه في عام 361هـ/972م. للمزيد ينظر: القلقشندي (أحمد بن علي ت 821هـ/1418م): *صبح الأعشى في صناعة الأنشا* ، تح: محمد ابراهيم، الأميرية، القاهرة، 1914م، ط1، ج3، ص364.

2) عطا الله (خضر)، *الحياة الفكرية في مصر في العصر الفاطمي*، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت، ط1، ص108_109.

3) اطلق عليها دار الحكمة رمزاً إلى الدعوة الشيعية الاسماعيلية لأن مجالس الدعوة كانت تسمى مجالس الحكمة للمزيد ينظر: سرور (محمد جمال الدين)، *تاريخ الدولة الفاطمية* ، دار الفكر العربي، القاهرة، 1995م، ط1، ص155_156.

4) هو رابع الخلفاء الفاطميين في إفريقيا (تونس)، وأول الخلفاء الفاطميين في مصر حكم بين 953م حتى 975م، يعد مؤسس مدينة القاهرة للمزيد: ابراهيم، حسن، *المعز لدين الله*، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1964م، ط1، ص69 وما بعد.

الله[1] حيثُ فرشت بأنواع السُّجاد الفاخر وعُلق على جميع أبوابها وممراتها الستائر وجعل فيها الخدم، ثم نقل إليها الحاكم بأمر الله أعداد غفيرة من الكتب مالم يرى مثلها مجتمعة لأحدٍ قط من الملوك وكان الهدف من تأسيسها أن تكون شبيهة بيت الحكمة الذي أقامه الخليفة العباسي المأمون في بغداد. تمَّ تقسيمها إلى عدة أجنحة وفي كُل جناحٍ اختصاص، فهناك جناح الفقهاء، وجناح قراءة القرآن، وثالث للمنجمين ،ورابع للغة والنحو ،وخامس للأطباء [2]. إنَّ أفضل المحاسن المأثورة للحاكم بأمر الله هو جعل مكتبة دار الحكمة مكتبة عامة يدخلها الناس على مختلف طبقاتهم، مما دفع الناس من مختلف الأجناس إلى الدخول إليها فمنهم من دخل لقراءة الكُتب، ومنهم من أراد نسخ الكُتب أو لغرض التعلم[3].

كانت مكتبة دار الحكمة تُقدم الحبر والأقلام والأوراق والمحابر لزوارها مجاناً. حيث رصد الحاكم بأمر الله أموالاً طائلةً للإنفاق عليها وخصص قسماً من أملاكه وقفاً على هذه المكتبة، ولعل أشهر من أشرف عليها أحمد حميد الدين الكرماني[4].

تنظيمها:

تميزت تلك المكتبة بالتنظيم، وكانت كتبها مصنفة بشكل دقيق مما يُسهل عمل روادها، وقد تميزت بفهرسة عامة وبلغت عدد غُرفها أربعين غُرفة، فضلاً عن مجموعة كبيرة من النساخين يقوم بأمرهم مجموعة من الموظفين الذين يجلبون لهم الكُتب المراد نسخها، بالإضافة إلى ذلك فقد ضمت المكتبة غُرفاً للمطالعة والمناظرة والاجتماعات. تميزت دار الحكمة باحتواء كل قسم من أقسامها على فهرس يوضح مضمون القسم، فكان هناك على سبيل المثال قسم الفقه والنحو واللغة والحديث والتاريخ والكيمياء والطب والفلسفة[5]. وتذكر المستشرقة الألمانية هونكه في كتابها بأنَّ كُتب دار الحكمة قد بلغت مليون وستمئة ألف مجلد[6] بينما يرى آخرون أمثال المؤرخ فيليب طرازي بأنها كانت تحوي ستمئة ستمئة ألف مجلد في مختلف المواضيع[7].

خراب دار الحكمة:

كان صلاح الدين الأيوبي يطمح لمحي آثار الخلافة الفاطمية في مصر لذلك حينما تمكن من القضاء عليهم سنة 567هـ/ 1171م عمد إلى بيع أو حرق كُتبها، فيقول المؤرخ أبو شامة وهو واحد من الذين أرخوا لصلاح الدين في كتابه الروضتين في أخبار الدولتين: " كانت خزائن الكتب في القاهرة من عجائب الدنيا، حيث لم يكن في بلاد

1) هو الخليفة الفاطمي السادس تولى الخلافة منذ عام 996- 1021م للمزيد ينظر: فوزي، حسين، *جولات في رحاب التاريخ*، دار المعارف، القاهرة، 1990م، ط1، ص 82 وما بعد.

2) منصور، سرحان، *المكتبات في العصور الإسلامية* ، دار مخراوي، البحرين، 1967م، ط1، ص60.

3) حمادة، محمد، *المكتبات في الإسلام، نشأتها وتطورها ومصائرها* ، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986م، ط1، ص158.

4) كان يلقب بحجة العراقيين، ولد في القاهرة، اشتهر بالعلم وفي سنة 408هـ تولى دار الحكمة، وكانت وفاته سنة 412هـ في مصر للمزيد: الزركلي، خير الدين، *موسوعة الأعلام*، دار العلم للملايين، بيروت، 1986م، ط7، ج1، ص178.

5) القلقشندي، مصدر سابق، ج2، ص 487.

6) هونكه، زيغريد، *شمس العرب تسطع على الغرب* ، تر: قارون بيضون وكمال دسوقي، دار صادر، بيروت، د. ت، ط 1، ص387.

7) طرازي، فيليب، *خزائن الكتب العربية*، وزارة التربية الوطنية، بيروت، 1947م، ط1، ج2، ص185.

الشام أعظم منها، فبيعت بالمزاد وبلغ عدد كتبها 120 ألف مجلد، ونقل منها ثمانية أحمال إلى بلاد الشام " [1] ويشير المقريزي بأنَّ عدد كتب دار الحكمة كان مليوني كتاب وأنها بيعت في كل يومين في الأسبوع وبأرخص الأثمان، واستمر بيعها عدة أعوام[2] ويبدو بأن المؤرخ أبو شامة أراد تقليص عدد كتب خزائن الفاطميين لكونه من رجال صلاح الدين ويحاول التقليل من حجم كارثة أحراق الأيوبيين تراث الفاطميين الثقافي الكبير، ويذكر المؤرخ ابن خلدون في كتابه ديوان المبتدأ والخبر حادثة فريدة على كيفية حصول القاضي الفاضل وزير صلاح الدين على آلاف الكتب من خزائن الفاطميين حيث بلغت مئة ألف كتاب لوحده وهذا ما يخالف قول أبو شامة فليس من المعقول بأن يأخذ رجل واحد أغلب كتب الفاطميين " كان القاضي الفاضل كلما رأى كتاباً صلح له قطع جلده ورماه في بركة على أنها مخرومات، ثم جمعها بعد ذلك ومنها حصَّل ما حصَّل من الكتب " وقد حصل القاضي الفاضل بهذه الطريقة على مائة ألف مجلد، ولما أنشأ مدرسته الفاضلية في القاهرة جعل تلك الكُتب في مكتبتها[3].

❖ **خزانة القصر الشرقي الكبير ودار العلم في القاهرة :**

أنشأها الخليفة العزيز بالله الذي تولى الخلافة سنة 365هـ وكان مشهوراً بحبه للعلم والمعرفة، أنشأ خزانة للكتب كانت من عجائب الدنيا، ولم يكن في جميع بلاد الإسلام دار كتب أعظم منها، وقد زودها بأندر المؤلفات في مختلف العلوم والفنون حتى تميزت على غيرها من مكتبات العالم الإسلامي بما فيها من كتب قيمة [4]، وكان تجار الكُتب يعرضون على موظفي مكتبة القصر أندر الكتب التي يعثرون عليها. بلغ عدد المخطوطات فيها مليون وستمئة ألف في التاريخ واللغة والكيمياء وغيرها. وقد عمل الخطاطون والمذهبون على تلك المخطوطات حتى أخرجوها تحفة فنية رائعة. اندثرت هذه الخزانة أثناء الاضطرابات أيام الخليفة الفاطمي المستنصر بالله[5]. لم تكن هذه الخزانة مقصورة على على جمع الكتب بل كانت أحياناً مجمعاً يجتمع فيها طلاب العلم والعلماء ،وهذا ما جعل العصر الفاطمي يزخر بالعلم والعلماء. ضمت أربعون خزانة كتب في سائر العلوم، وتحتوي كل خزانة على عدة رفوف، والرفوف مقطعة بحواجز. ولعل أهم ما يميز خزانة القصر الشرقي أنَّ كتبها لم يكن لها مثيل في مكتبات بغداد أو قرطبة [6]. لذلك تعدُّ المكتبات الفاطمية من المكتبات القليلة التي ضمت أعظم وأندر الكُتب. كما اشترى العزيز داراً إلى جانب الجامع الأزهر ،وجعلها مكتبة، وأطلق عليها اسم دار العلم سنة 378هـ/ 988م. جعل عليها خمسة وثلاثين من أكابر العلماء تتولى شؤونها، وكان مصيرها الهلاك والتلف بعد سقوط الخلافة الفاطمية سنة 567هـ / 1171م، ومن اللافت بأنَّ تلك الخزينة خلال الأزمة الاقتصادية زمن الخليفة المستنصر بالله والتي عرفت بالشدة المستنصرية سنة 457هـ/1065م بيعَ منها حمولة خمس وعشرين جملاً من الكتب لدفع رواتب وزرائه[7].

---

1) أبو شامة (شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل الدمشقي الشافعي ت 665هـ / 1267م)، *الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية*، تح: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م، ط1، ج1، ص268.

2) المقريزي (أحمد بن علي ت 845هـ / 1278م)، *المواعظ والاعتبار*، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985م، ط2، ج2، ص252.

3) ابن خلدون (عبدالرحمن بن خلدون ت 808هـ / 1406م)، *ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر*، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، د.ت، ط 1، ج4، ص79. حمادة، مرجع سابق، ص 120.

4) المقريزي، مصدر سابق، ج1، ص457.

5) عطا الله، مرجع سابق، ص164.

6) المقريزي، مصدر سابق، ج1، ص408_409.

7) مرسي، زنوبة، *محاضرات في تاريخ وحضارة الدولة الفاطمية* ، دار الثقافة العربية، القاهرة، د.ت، ص 137_138.

ثانياً. خزائن الوزراء:

لم يكن الخلفاء وحدهم يشتغلون باقتناء الكتب ويبحثون عنها بل أن وزراءهم كانوا يقتنون أثرهم وينهجون بمنهجهم ومن أشهر خزائن الوزراء:

❖ **خزائن الوزير يعقوب بن كلس :**

تميزت الخلافة الفاطمية بوجود وزراء محبين للعلم وجمع الكتب، ولعل أشهرهم كان يعقوب بن كلس والذي ولد في بغداد سنة 318هـ/ 930م ونشأ بها ومن ثم سافر مع أبيه إلى بلاد الشام، ومنها إلى مصر سنة 330هـ/942م ومع دخول الفاطميين مصر دخل بن كلس في خدمة الخليفة المعز لدين الله، وفي زمن ولده العزيز تولى الوزارة، توفيَّ سنة 380هـ/ 990م[1]، ألف ابن كلس كتاباً في القراءات وكتاباً في الفقه الإسماعيلي وكتاباً في الأديان. وكان إلى جانب تبحره في علوم الفقه أديباً بارعاً وشاعراً، وكلن يعقد في داره مجلساً خاصاً كل ثلاثاء يحضره الفقهاء والمتكلمون وأهل الجدل، وكان في داره عدة كُتاب ينسخون له أنواع مختلفة من الكُتب، ونتيجة ولع ابن كلس بالتأليف وجمع الكتب فقد صار لديه مكتبة ضخمة للكتب[2]. وبعد وفاة ابن كلس قام الخليفة العزيز بنقل كُتب خزانته إلى قصر الخليفة[3].

ثالثاُ. الخزائن الخاصة :

❖ **خزانة مبشر بن فاتك :**

هو الأمير مُبشر بن فاتك والذي اشتهر بكونه ذو همة عالية في تحصيل العلوم وجمع الكتب، كانت له خزانة كُتب يعشقها أكثر من أهله، وكان في أكثر أوقاته لا يفارقها، وليس له دأب إلا المطالعة فيها، وبعد وفاته قامت زوجته وجواريها برمي كُتبه في الماء وذلك لكون زوجها كان ينشغل عنها بتلك الكتب[4].

❖ **خزانة أبي الفوارس :**

هو أبي الفوارس عضد الدين مرهف بن أسامة بن مرشد، وهو من أحفاد بني منقذ، كان له خِزانة خاصة في القاهرة، كان لديه من الكتب مالم يعلم مقداره، ومرةً باع منها أربعة آلاف مجلد في نكبة لحقتهُ، ولم يؤثر ذلك بخزانتهِ[5].

❖ **خزانة المنجم :**

هو أبي الحسن علي بن عبد الرحمن الصفدي المُلقب بالمنجم لحبه للفلك والنجوم، أنشأ خِزانة تضم شتى أنواع الكُتب التي تبحث في الفلك وعند وفاته سنة 399هـ/ 1008م قام ولدهُ ببيع كتبه وجميع تصنيفاتهِ بالأرطال[6].

❖ **خِزانة الطبيب ابن الزمان :**

هو إفرائيم ابن الزمان، كان طبيباً يهودياً، وكان من الأطباء المشهورين بديار مصر، خدم الخلفاء، ونال منهم أحسن العطايا، عُرف بميله لجمع الكُتب ،واستنساخها حتى كان له خزائن كثيرة من الكتب الطبية وغيرها [7]. تذكر

---

1) ابن خلكان، مصدر سابق، ج1، ص 28 .

2) مرسي، مرجع سابق، ص142.

3) طرازي، مرجع سابق، ص 194.

4) ابن أبي أصيبعة (أحمد بن القاسم الخزرجي ت 668هـ / 1270م)، *عيون الأنباء في طبقات الأطباء*، تح: نزار رضا، دار الحياة، بيروت، 1995م، ط1، ج3، ص 163.

5) ياقوت الحموي (أبو عبيد الله الرومي ت 626هـ / 1228م)، *معجم الأدباء*، دار صادر، بيروت، 1977م، ط1، ج5، ص242 .

6) ابن خلكان، مصدر سابق، ج3، ص 106 .

7) ابن أبي أُصيبعة، مصدر سابق، ج3، ص 174.

المصادر بأنَّ الطبيب بن الزمان قد باع عشرة آلاف مجلد من خزانته إلى الوزير الأفضل بن بدر الجمالي [1]. وبعد وفاتة سنة 515هـ/ 1121م قام الوزير الأفضل بأخذ بقايا كُتب خزانتهِ، وكانت تزيد عن عشرين ألف مجلد[2].

رابعاً. خزائن المساجد :

❖ **خِزانة مسجد الأزهر :**

كان في كل جامع مكتبة لأنه كان من عادة العلماء أن يوقفوا كتبهم على الجوامع من مختلف العلوم. ويشير بعض المؤرخين أنه كانت للأزهر مكتبة عامرة بالكتب، وكان المشرف عليها يحمل منصباً من أهم المناصب في الدولة الفاطمية[3].

❖ **خِزانة مسجد ابن طولون :**

بشكل عام فقد انتشرت المكتبات في مختلف المساجد والجوامع الإسلامية وكان لها دور هام في نقل التراث الإسلامي المدون إلى الأجيال المسلمة، كما أنها أسهمت في إغناء مجالس التدريس والتعليم عند المسلمين، وكانت العادة أن بعض العلماء والخلفاء قد اعتاد أن يوصي بكتبة لتوقف في أحد المساجد مثلما فعل الخليفة الحاكم بأمر الله في مسجد ابن طولون حيثُ وضع فيه 814 مصحفاً، وكُتب متنوعة نُقلت من مسجد الأزهر بهدف ابتغاء الأجر والثواب[4].

خامساً. خزائن البيمارستانات (المشافي) :

❖ **البيمارستان القديم في القاهرة :**

يقدم المؤرخ ابن تغري بردي معلومات قيمة عن تلك المكتبة حيث يصف البيمارستان القديم في القاهرة، ويضيف بأنه كان يحوي خِزانة كُتب تضم مائة ألف مجلد في سائر العلوم تحظى برعاية الخلفاء الفاطميون اللذين كانوا يأتون راكبين فإن وصلوا إليها ترجلوا وجلسوا فيها ليعرفوا أحوالها. أما تنظيم تلك الخزانة فقد كانت تحوي عدداً من الرفوف ومقطعة بحواجز، وعلى كُل حاجز باب مُقفل حوت تلك الرفوف على أكثر من مائتي ألف كتاب في الفقه والنحو واللغة والحديث والكيمياء والطب[5].

❖ **خِزانة البيمارستان المنصوري في القاهرة :**

ويسمى هذا البيمارستان أيضاً دار الشفاء أو مارستان قلاوون بناه السلطان قلاوون والذي حكم مصر في العهود المملوكية 678_689هـ/1279_1290م أما في العهد الفاطمي فقد كان داراً لست الملك أخت الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله وفي زمن المماليك تحول ذلك الدار المهجور بعد سقوط الخلافة الفاطمية في مصر إلى بيمارستان سنة

---

1) كان والدة أرمني من أصل مسيحي عُرف ببدر الجمالي لكونه مملوكاً لجمال الدولة بن عمار حاكم طرابلس الشرق، دخل مصر زمن المستنصر الفاطمي، وتمكن من الوصول إلى الوزارة بعد مساعدة المستنصر بالقضاء على الاضطرابات، خلفهُ ولده الافضل وسار على سياسة والده في السيطرة على مصر دون الخليفة للمزيد: ابن القلانسي (حمزة بن أسد بن علي بن محمد ت 555هـ / 1160م)، *ذيل تاريخ دمشق*، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1908م، ط1، ص 127.

2) عليان ، ربحي، *المكتبات في الحضارة العربية الإسلامية* ، دار صفاء، عمان، 1999م، ط1، ص 117.

3) ابن خلكان، مصدر سابق، ج1، ص60.

4) المقريزي ، مصدر سابق، ج3، ص 237 .

5) ابن تغري بردي (أبو المحاسن يوسف ت 874هـ / 1469م)، *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة* ، وزارة الثقافة، القاهرة، 1963م، ط1، ج4، ص 101.

678هـ/1279م وكان سبب بنائه أن السلطان قلاوون أصيب في دمشق بمرض فعالجه الأطباء فيها حتى برأ فنذر عند عودته إلى مصر أن يبني بيمارستان وهذا ما كان والمهم هنا بأن هذا البيمارستان لم يكن مخصص للعلاج فقط وإنما لتعليم الطب وتخصيص جزء منه كخزانة للكتب الطبية والتي كانت أغلب كُتبها من كُتب الخزائن الفاطمية[1].

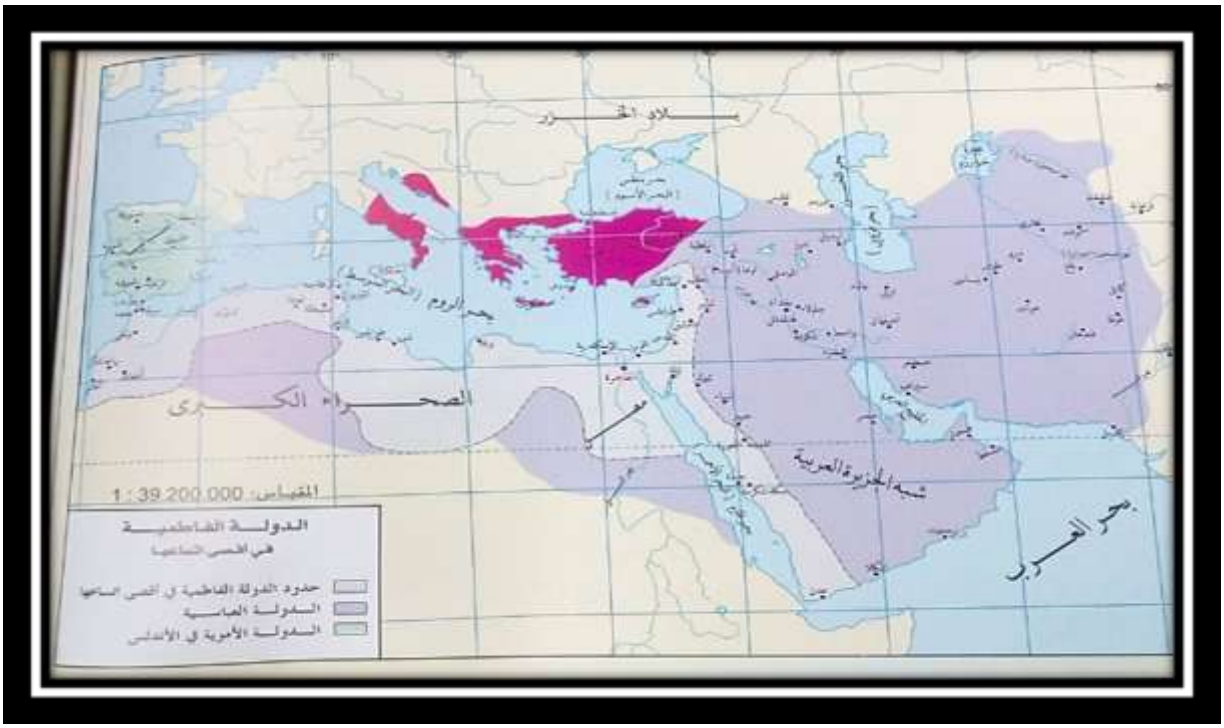

المصور رقم (1): حدود الدولة الفاطمية

المصدر: الكاتب، سيف الدّين، *أطلس تاريخ العرب و العالم*، دار الشّرق العربي، حلب، 2008، ط2، ص76

الخاتمة :

يمكن القول بأنَّ الخلافة الفاطمية في مصر تميزت بحالة من التطور الثقافي والفكري، وهذا ما أدى إلى إغناء الحضارة العربية الإسلامية فضلاً عن أهمية دور التنافس الثقافي عند الفاطميين في وجه الخلافة العباسية في بغداد، والذي أثر إيجابياً في الاهتمام بالعلماء والمؤرخين ورجال العلم، وازدهار خزائن الكتب. هذه الخزائن التي تميزت بتنوعها من خزائن الخلفاء إلى الوزراء إلى رجال العلم إلى خزائن المساجد والبيمارستانات، وفي مواضيعها من طُبٍّ وفلكٍ وفلسفةٍ وفقهٍ...وحتى في اندثارها وخرابها. وفي النهاية إنَّ اهتمام الفاطميين بالمكتبات يعكس لنا الحالة السائدة في تلك الخلافة من الاهتمام بالثقافة والشغف بالعلوم المختلفة ، وانتشار أسواق الكُتب وظهور العلماء على اختلاف مشاربهم.

1) حمادة، مرجع سابق، ص 164.

قائمة الكتب المستخدمة :

المصادر:

1-ابن الأثير (علي بن محمد ت 630هـ / 1233م)، *الكامل في التاريخ*، 11ج، تح: محمد السناري، دار الحديث، القاهرة، 2010م، ط2، ج2، 421ص.

2- ابن أبي أُصيبعة (أحمد بن القاسم بن خليفة الخزرجي ت 668هـ / 1720م)، *عيون الأنباء في طبقات الأطباء*، تح: نزار رضا، دار الحياة، بيروت، 1995م، ط1، 399ص.

3- ابن تغري بردي (أبو المحاسن يوسف ت 874هـ / 1469م)، *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة* ، 16ج، وزارة الثقافة ، القاهرة ، 1963م، ط1، ج4، 282ص.

4- ابن خلدون (عبد الرحمن بن خلدون ت 808هـ / 1406م)، *ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر* ، 8ج، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، د. ت، ط 1 ، ج4، 408ص.

5- ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس ت 681هـ / 1282م)، *وفيات الأعيان وأبناء الزمان* ، 8ج، تح: احسان عباس، دار صادر، بيروت، 1994م، ط1 ، ج2، 411.

6- ابو شامة (شهاب الدين عبد الرحمن اسماعيل الدمشقي الشافعي ت 665هـ / 1267م)، *الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية* ، 4ج، تح: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م، ط1، ج1، 437ص.

7- ابن القلانسي (حمزة بن أحمد بن علي بن محمد ت555هـ / 1166م)، *ذيل تاريخ دمشق*، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1908م، ط1، 683ص.

8- القلقشندي (أحمد بن علي ت 821هـ / 1418م)، *صبح الأعشى في صناعة الأنشا* ، 14ج، تح: محمد ابراهيم، الأميرية، القاهرة، 1914م، ط1، ج2، 507ص.

9- المقريزي (أحمد بن علي ت 845هـ / 1278م)، *المواعظ والاعتبار*، 4ج، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985م، ط2، ج2، 461ص.

10- ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله الرومي ت 626هـ / 1228م)، *معجم الأدباء*، 20ج، دار صادر، بيروت، 1977م، ط1، ج5، 385ص.

المراجع :

1-ابراهيم، حسن، المعز لدين الله، *مكتبة النهضة المصرية*، القاهرة، 1964م، ط1، 354ص.

2- حمادة، محمد، *المكتبات في الإسلام نشأتها تطورها ومصائرها* ، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986م، ط1، 280ص.

3- الزركلي، خير الدين، *موسوعة الأعلام*، دار العلم للملايين، بيروت، 1986م، ط7، 349ص.

4- الزيات، محمد، *منظومة التأويل الفاطمية*، منشورات المكتبة الفاطمية، القاهرة، 2007م، ط1، 261ص.

5- سرور، محمد جمال الدين، *تاريخ الدولة الفاطمية*، دار الفكر العربي، القاهرة، 1995م، 436ص.

6_ طرازي، فيليب، *خزائن الكتب العربية*، وزارة التربية الوطنية، بيروت، 1947م، ط1، 98ص.

7- العريني، السيد الباز، *الشرق الأدنى في العصور الوسطى*، دار النهضة العربية، القاهرة، د. ت، 381ص.

8- عطاالله، خضر، *الحياة الفكرية في مصر في العصر الفاطمي*، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت، 446ص.

9_ عليان، ربحي، *المكتبات في الحضارة العربية والإسلامية*، دار صفاء، عمان، 1999م، ط1، 198ص.

10- فوزي، حسين، *جولات في رحاب التاريخ*، دار المعارف، القاهرة، 1990م، ط1، 328ص.

11- الكاتب، سيف الدين، *أطلس تاريخ العرب والعالم*، دار الشرق العربي، حلب، 2008م، ط2، 128ص.

12- ماجد، عبد المنعم، *تاريخ الخلافة الفاطمية*، دار الفكر، بيروت، 2011م، ط1، 375ص.

13- مرسي، زنوبة، *محاضرات في تاريخ الدولة الفاطمية*، دار الثقافة العربية، القاهرة، د.ت، 237ص.

14_ منصور، سرحان، *المكتبات في العصور الإسلامية*، دار مخراوي، البحرين، 1967م، 340ص.

15- هونكه، زيغريد، *شمس العرب تسطع على الغرب*، تر: قارون بيضون وكمال دسوفي، دار صادر، بيروت، د. ت، ط1، 692ص.